تمهيد

فى كتابى: المدرسة النحوية فى مصر والشام فى القرنين السابع والثامن من الهجرة»[١] بيّنت أن الحركة النحوية فى هذه الفترة بلغت نُضْجها، وآتت أكلها، وأعطت ثمارها.

ففى عهد الفاطميين عنوا بالدراسات النحوية عناية فائقة، تتمثل فى نشر الكتب النحوية.

ولحرصهم الشديد على الحفاظ على مقاييس النحو، واتباع أساليبه عيّنوا (ابن باب شاذ) النحوى محرّرًا فى ديوان الرسائل والإنشاء وكان (ابن بابشاذ) من كبار النحويين والقرّاء فى هذه الدولة.

وابن بابشاذ هو «الحسن طاهر بن أحمد المصرى الجوهرىّ، دخل بغداد تاجرًا فى الجوهر، وأخذ عن علمائها، وخدم بمصر فى ديوان الإنشاء»[٢].

وبعد سقوط الدولة الفاطمية بعد وفاة الناصر الفاطمى آخر خليفة من خلفاء هذه الدولة قامت الدولة الأيوبية فى مصر على يد الفتى الشجاع صلاح الدين الأيوبى المتوفى سنة ٥٦٧هـ.

ولم ينس صلاح الدين أن دولته قامت على أنقاض دولة الفاطميين، والفاطميون كانت لهم فى مضمار الحضارة والعلم قدم راسخة وآثار واضحة «فمصر فى عهدهم نشطت فيها حركة علمية قوية، وانتعشت فيها مجامع الدرس على مثال ما كان فى عهد العباسيين»[٣].

وكما يقول سيد أمير على عن الأيوبيين الذين ساروا على هوى الفاطميين فى الحضارة والعلم «إنهم كانوا كالبطالسة الأولين يشجعون العلم، ويكرّمون العلماء، ويشيدون المكاتب العامّة، ودار الحكمة، التى حملوا إليها مجموعات

(١) نشر دار الشروق/ ١٩٨٠ ط أولى، ومؤسسة الرسالة/ ١٩٩٠ ط ثانية.

(٢) انظر حسن المحاضرة للسيوطى ١/ ٢٨.

(٣) انظر مجلة المجمع اللغوى - المجلد الأول/ ١٧٠.

عظيمة من الكتب فى سائر العلوم والفنون»[١] وفى سبيل العلم لم ينس صلاح الدين أن يؤسس أوّل مدرسة فى مصر، وهى المدرسة الناصرية التى بناها سنة ٥٦٦هـ»[٢].

وكان أوّل مملوك تولى الحكم فى مصر بعد الأيوبيين هو عز الدين أيبك التركمانى، وبتولّيه أسدل السّتار على الدولة الأيّوبية.

وفى عهد المماليك سقطت بغداد تحت أقدام التتار بعد أن كانت عروس الشرق لبست أزهى حللها، وأجمل زينتها على يد خلفاء بنى العباس الذين جعلوها أكبر مركز علمى ثقافى مما جعلها كعبة القصاد، وقبلة العلماء، وبفضلها تكونت مراكز علمية فى القاهرة ودمشق وقرطبة.

انهار هذا الصرح العلمىّ فى أيام تعدّ على رءوس الأصابع، فأصبحت خرابًا بلقعًا وقاعًا صفصفًا.

وقد وصف الإمام أبو الفداء مآسى التتار التى حلّت ببغداد، وسقوطها تحت أقدام التتار وصفًا ترتاع له النفوس، وتضطرب من أجله الأفئدة.[٣] وفى عهد قطز أحد حكام المماليك اتّجه هولاكو إلى مدينة حلب بالشام بعد أن استولى على بغداد.

وفى عين جالوت دارت المعركة بين المماليك وبين التتار «فحمل الملك المظفر بنفسه فى طائفة من عساكره، وهو يكرّ بهم كرّة حتى نصر الله الإسلام وأعزّه، وانكسرت التتار، وولت الأدبار على أقبح وجه بعد أن قتل معظم أفيالهم»[٤].

فى ظلال هذه الأحداث السياسية والاجتماعية من أواخر القرن السادس الهجرى إلى نهاية القرن الثامن عاشت الحركة النحوية قوية متحركة نشطة بفضل أعلامها الذين لمعوا فى سماء هذا العلم فى هذه الفترة من الزّمان.

---

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدّن الإسلامى/ ٥١٠.

(٢) النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٦.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) النجوم الزاهرة ٧/ ٧٩.

ومن أبرز هؤلاء العلماء وأشهرهم فى ميدان النحو بصفة خاصة ابن الحاجب المصرى،ولأنه صاحب الكافية التى شرحها الرّضى نلقى الضوء فى إيجاز على حياته.

ابن الحاجب المصرى:

هو عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس الإمام، العالم جمال الدين أبو عمرو المعروف بابن الحاجب الكردى.

ولد فى أواخر سنة ٥٧٠ هـ بإسنا من بلاد الصعيد، وهى بلدة كبيرة خرج منها جمع كبير من أهل العلم والأدب»[١].

وقد انتقل إلى القاهرة صغيراً، لأنه ـ كما تحدثنا دائرة المعارف الإسلامية ـ حفظ القرآن الكريم فى القاهرة، ودرس العلوم المتصلة به كالفقه والأصول على مذهب الإمام مالك، وكذلك النحو»[٢].

وفى القاهرة أخذ النحو والقراءات عن الإمام الشاطبى»[٣].

وكما تسلح ابن الحاجب بما يتسلح به العالم من شتى أنواع المعرفة جلس للإفادة وتردد بين القاهرة ودمشق مرّات كثيرة.

وإقامته بدمشق مكنته من أن يكون مدرسًا للمالكية، وشيخًا للمستفيدين عليه فى علمى القراءات والعربية»[٤].

والمادة التى كانت تشد ابن الحاجب إليها هى مادة النحو ، كما يقول صاحب «روضات ت الجنات» كان الأغلب عليه دراسة النحو[٥].

وإقامة ابن الحاجب فى دمشق لم تستمر طويلاً بسبب «حادث العزّ بن عبد السلام مع الملك الأشرف».

---

(١) الطالع السعيد للإدفوى (٢٦).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول ٢/ ١٢٦ .

(٣) الطالع السعيد من ص١٨٨-١٩٥ .

(٤) البداية والنهاية ١٣/ ١٧٩ .

(٥) روضات الجنات / ٨ .

فقد كان هناك خلاف بين العز وبين الأشرف، ولم يجد العز من يقف إلى جانبه من العلماء، ويشد أزره فى محنته غير ابن الحاجب.

ولهذا السبب تغير الملك الأشرف عليه، مما أدّى به وبصاحبه إلى الخروج من دمشق، والعودة إلى مصر(١).

وبعد عودته إلى مصر سنة ٦٢٨هـ تصدّر بالفاضلية وجلس فى موضع الشاطبى»(٢).

وظل ابن الحاجب متصدّرًا بالفاضلية حتى انتقل إلى الإسكندرية للإقامة فيها، ولم تطل مدّة إقامته فى الإسكندرية حيث وافاه الأجل فى ضحى نهار الخميس سادس عشر من شوّال، ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ صالح بن أبى شامة سنة ٦٤٦هـ.

الكافية

سمة التأليف فى عصر ابن الحاجب تتضح فى وضع المتون النحوية، من أجل جمع الخطوط الرئيسة للقواعد النحوية.

ومن منهج هذه المتون الإيجاز فى عرض القواعد النحوية ، وتقديمها فى فقرات تشير إلى الفروع، ولا تتعمّق فيها، مكتفية بالأصول دون شرح أو تحليل.

والذى حملهم على ذلك الخوف من ضياع هذا العلم بعد أن كثرت الفتن فى الأندلس واشتعلت نيران الحرب فى عهد الصّليبين والمماليك.

فسقوط بغداد على يد التتار، وتحريقهم كتب اللغة والنحو، وتخريبهم خزائن تراث الفكر الإسلامى والعربى شجعهم على وضع هذ ه المتون.

ومن أشهر هذه المتون كافية ابن الحاجب.

ومنهج ابن الحاجب فى كافيته هو منهج الزمخشرى فى مفصله، فالناظر فيه يرى أنه مقسوم على أربعة أقسام:

---

(١) شذرات الذهب ٥/ ٢٣٤.

(٢) الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية/ ١٣٩.

الأول فى الأسماء، والثانى فى الأفعال، والثالث فى الحروف، والرابع فى المشترك من أحوالها.

وقد نهج على هذا التقسيم ابن الحاجب ، فقسم الكافية إلى أربعة أقسام أسماء وأفعال وحروف، ومشترك من أحوالها.

وأغلب الظن أن هذا الترتيب والتقسيم لم يكن من مبتكرات الزمخشرى ، فقد سبقه إلى هذا أبو على الفارسى فى كتابه «الإيضاح» فقد كان أول من ابتكر هذا الترتيب، وسنّه للمعاصرين له من تلاميذه، وللخالفين من النحاة من بعده»(١).

ولما ألف ابن الحاجب كتابه فى النحو ألف الشافية فى الصرف، وكعادته فى شرح ما ألف، وتوضيح ما أنتج شرح الشافية.

وقد شرح الرّضى كلاً من الكتابين. «ويعد هذان الكتابان النبع الذى استقى منه ابن مالك سرّ تسميته لمنظومته« الكافية الشافية» التى جمع فيها بين علمى النحو والصرف، وكانت هى الأصل الذى اختزل فيه الخلاصة المسمّاة بالألفية، وكأنّ ابن مالك أراد أن يبين فضله على حين اقتصر مجهود ابن الحاجب على إفراد كل منهما بكتاب موجز»(٢) وقد انتشرت الكافية انتشاراً كبيراً لأنها ـ كما يقول حاجى خليفة فى «كشف الظنون» ـ مختصرة معتبرة، مغنية عن التعريف، وهى دستور هذا الفنّ إذْ بها يعرف أكثر مسائله»(٣).

ولما كانت الكافية تشبه القوانين العامة أو الخطوط الرئيسة، وتحتاج إلى تفسير وإيضاح ألف لها شرحًا ليزيل غموضها، ويكشف عن أسرارها، وقد تداول الناس هذا الشرح، وأكبوا عليه، وأفادوا منه وشغلوا به.

وفى عهد ابن الحاجب كان الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى الأيوبى

(١) أبو على الفارسى / ٥٢١ .

(٢) مقدمة أستاذنا المرحوم عبد السلام هارون على الخزانة/ ٢٠ .

(٣) «كشف الظنون» مجلد ٣ نهر ١٣٧ وما بعده.

محبًا للنحو كـأبيه، فلما رحل ابن الحاجب عن دمشق إلى الـكرك نظم لهذا الملك مقدمته الكافية، وسمى هذا النظم: الوافية، ولم يكتف بنظمها بل شرحها له»[١].

وقد تسابق العلماء عـلى شرح الكافية فظهرت لها شروح كثيرة بـاللغة العربية وبالفارسية وبالتركية.

أسلوب الكافية:

ابن الحاجب فى الكـافية عمد إلى التلخيص والإيجـاز لدرجة أن الدارس لها يجد صعوبة فى فـهمها وحل تراكيبها، والوقوف على أسـرار عباراتها، فهو وإن حاول بهذا الـعمل أن يلخص النـحو، ويقدمه قواعد سهـلة للمبتدئـين إلا أنه قد خانه الحظ وجانبه التوفيق فى الوصول إلى هذا الغرض.

ولا أدل علـى ذلك من أن الـرضى شارح الـكافيـة، كان يـعانى مـن أسلوبـها وتراكيبها الشيء الكثير مما أدى به إلى مهاجمة المصنف، ولومه على هذه الصعوبة التى كـانت شعار أسلوبـه فى مقدمتـه، فيقول: قال ابـن الحاجب فى مقدمـته فى إعراب الاسـم: «وهو مـعرب ومبـنى، فالمـعرب المـركب الذى لـم يشبـه مبـنى الأصل».

وعلق الرضى على هذا التعريف بقوله:

«ولفظ المركـب يطلق على شـيئين: على أحـد الجزأين أو الأجزاء بالنـظر إلى الجزء الآخر أو الأجزاء الأخرى ، كما يقال فـى ضرب زيد مثلاً: إن «زيد» مركب إلى ضرب وضرب مركب إلى زيد فهما مركبان.

ويطلق علـى المجموع، فيقال: ضرب زيد مركّب مـن ضرب، ومن زيد، وهذا كما تقول لأحد الخفين هو زوج الآخر، وتقول لهما معًا: زوج.

وأراد المصـنف المعنـى الأول، وليس بمـرضىّ، لأن المركّـب فى اصطلاحـه فى المجموع أشـهر منه فـى كل واحد من جـزئيه، أو أجزائـه، فيوهم أن المـعرب من الأسماء لا يكون إلا مركبًا من شيئين فصاعداً كخمسة عشر ونحوه».

---

(١) كشف الظنون مجلد ٣ نهر ١٣٧ ، وما بعده .

ثم قال الرضى: وهذا دأب المصنف يورد فى حدود هذه المقدمة ألفاظًا غير مشهورة فى المعنى المقصود اعتماداً منه على عنايته.

وينبغى أن يختار فى الحدود والرسوم أوضح الألفاظ فى المعنى المراد، ويحترز عن الألفاظ المشتركة، فكيف باستعمال لفظ فى غير المعنى المقصود أظهر»[١].

شروح الكافية:

لمكانة الكافية فى مجال النحو العربى تنافس العلماء فى شرحها، ووضع الحواشى عليها، ويصعب على الباحث أن يعدد هذه الشروح.

والحق الذى يقال: إن الذى أضفى على هذه المقدمة شهرة واسعة النطاق هو شرح الشيخ رضى الدين الأستراباذى، الذى انتشر ذكره وسارت به الركبان فى بلاد العرب والعجم.

حقًا إن انتفاع العجم بالكافية وشروحها أكثر من انتفاع أهل مصر والشام بها، ولذلك سرّ، فإن ابن الحاجب كان يميل إلى الفلسفة والمنطق، والقياس والتعليل، وقد سادت فيه هذه الروح منذ أن نبغ فى علم الأصول حيث تقوم قضاياه على أسس منطقية، وأهل مصر ينفرون من الفلسفة ويفرون من المنطق.

ولهذا السبب «لم ينتفع أهل مصر بهذا الشرح لأنه نقل إلى مصر فى زمن متأخر بعد عصر أبى حيّان وابن هشام حيث لم يقفا على هذا الشرح»[٢].

أقول هذا، لأن الرضى سار على نهج ابن الحاجب فى عرض المسائل النحوية فى ضوء القضايا الفلسفية، والتحليلات المنطقية، فمن هو الرّضى؟

الإمام الرضى:

بعد هذه الجولة القصيرة فى مجال النشاط النحوى فى عصر ابن الحاجب الذى لفت الأنظار إلى كافيته، والعقول إلى مقدمته، أضع بين يدى القارئ ترجمة موجزة لشارحها المتألق الذى أضفى عليها من علمه ونبوغه ما جعلها خالدة خلود الزمن، باقية ما بقيت الحياة.

---

(١) شرح الرضى ١/ ٣٩.

(٢) انظر هامش كشف الظنون نهر ١٣٧ مجلد ٢.

لم يحظ الرضى بأقلام المؤرخين كما حظى غيره من العلماء النابغين، فلا نعرف شيئًا عن ميلاده، كيف نشأ، وعلى يد من تعلم؟ ومن الشيوخ الذين شرب من نبعهم، واستقى من علمهم ، ومن التلاميذ الذين حملوا لواء العلم من بعده؟

فحياته غامضة، وتاريخه مجهول، سكتت عنه الأقلام مع أنه أولى العلماء بالبحث عن حياته الاجتماعية، ورحلاته العلمية.

وكل ما كتب عنه لا يتجاوز عدة سطور، فالسيوطى فى «بغية الوعاة» يعترف بأنه لم يقف على اسمه، ولا على شىء من ترجمته.

ولولا عناوين شرح الرضى المخطوطة أو المطبوعة لجهلنا اسمه كما جهله السيوطى، فعلى أغلفة المخطوطات والمطبوعة التى اعتمدتها مرجعًا من مراجع التحقيق لما عرفنا اسمه واسم أبيه، فهو الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى.

ويبدو أن شهرة شرحه للكافية غطت على الجوانب المختلفة من حياته، فالسيوطى يقول عنه فى «بغية الوعاة»:

«الرضى الإمام المشهور صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذى لم يؤلف عليها ـ بل ولا فى غالب كتب النحو ـ مثلها جمعًا وتحقيقًا ، وحسن تعليل وقد أكبّ الناس عليه، وتداولوه، واعتمده شيوخ هذا العصر فمن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة، واختيارات جمة ومذاهب ينفرد بها.

ولقبه : نجم الأئمة ولم أقف على اسمه، ولا على شىء من ترجمته، إلا أنه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

وكما كان تاريخ ميلاده غامضًا كان تاريخ وفاته غامضًا أيضًا فالسيوطى يقول: «وأخبرنى صاحبنا المؤرخ شمس الدين بن عزم بمكة أن وفاته سنة أربع

وثمان أو ست هـ » ثم قال السيوطى: «والشك منى» [١] وهكذا من نص السيوطى نعلم أن تاريخ وفاته لم يكن موضع اتفاق فقد تكون وفاته سنة ٦٨٤هـ أو سنة ٦٨٦هـ.

ومّما يجدر ذكره أن البغدادى مؤلف الخزانة التى أوقفها على شرح شواهد الرضى لم يقتنع بما ذكره السيوطى فى «البغية» بالنسبة لتاريخ وفاته وبالنسبة لجهالة اسمه، فيقول: «وقد رأيت فى آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصّه:

«هو المولى الإمام العالم العلامة، ملك العلماء، وصدر الفضلاء، مفتى الطوائف الفقيه، المعظم، نجم الملّة، والدين محمد بن الحسن الأستراباذى.

وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية [٢] فى ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة».

وعلّق البغدادى على ذلك بقوله: «هذا صورة ما رأيته، وهذا التاريخ غير موافق لما أرّخه هو فى آخر شرحه قبل أحكام هاء السكت قال فيه: «هذا آخر شرح المقدمة، والحمد لله على إنعامه وإفضاله، بتوفيق إكماله، وصلواته على محمد وكرام آله.

وقد تم تمامه، وختم اختتامه فى الحضرة المقدسة الغروية على مشرّفها أفضل تحية رب العزة وسلامه فى شوال سنة ست وثمانين وستمائة».

وهذا يناقض ما ذكره السيوطى حيث يقول: إن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وستمائة.

ويضيف البغدادى فى تحقيقه لسنة وفاته فيقول: «وقد ذكر البقاعى» فى «مناسبات القرآن» تاريخ هذا الشرح كما نقلنا، قال: هو محمد بن الحسن الاستراباذى، العلامة نجم الدين وتم شرح الكافية فى سنة ست وثمانين

(١) بغية الوعاة ١/ ٥٦٧-٥٦٨.

(٢) نسبة إلى الغرى وهو مشهد الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - بالنجف.

وستمائة، ولم ينقل الشرح من العجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبى حيّان وابن هشام»[١].

ونخلص من هذا التحقيق العلمى الذى عرضه البغدادى فى الخزانة بالنسبة لتاريخ وفاته فنقول:

وعلى هذا لا يمكن أن نعترف بما ذكره السيوطى فى تاريخ وفاته، لأنه عاش مدّة يحرر شرحه ، ولهذا تختلف نسخه اختلافًا كبيرًا، كما أن شرحه للشافية متأخر عن شرحه للكافية.

الإشادة بشرح الرضى:

ظفر الإمام الرضى بتقدير العلماء، فأشادوا بفضله ، ورفعوا من ذكره، فجعلوه نجم الأئمة، وشيخ النحاة.

قال عنه السيوطى فى البغية، مشيدًا بشرحه : «لم يؤلف على الكافية ولا فى غالب كتب النحو مثلها جمعًا وتحقيقًا وحسن تعليل. وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة، واختيارات جمة، ومذاهب ينفرد بها»[٢].

«ومن العلماء الذين أحاطوا الرضى بهالة من التقدير والتكريم السيد الشريف الجرجانى، على بن محمد على الحنفى الشريف الجرجانى الذى قال عنه العينى فى تاريخه: «عالم بلاد المشرق، كان علامة دهره، ومولده بجرجان من ولاية استراباذ سنة ٧٤٠ هـ، وأنه توفى بشيراز فى سادس ربيع الثانى سنة عشر وثمانمائة»[٣].

وكان الشريف له عناية خاصة بشرح الرضى على الكافية، فقد قرأها عليه عدة تلاميذ ومن أشهرهم: محمد حاجى ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر محمد ، وقد كتب له إجازة لقراءة هذا الكتاب، ونشره بين الطلاب، نقتبس من هذه الإجازة الفقرات التالية فإنها تدل دلالة واضحة على مكانة الإمام الرضى وشرحه العظيم، يقول السيد الشريف فى إجازته:

---

(١) انظر هذه النصوص فى الخزانة ١/ ٢٨-٢٩.

(٢) بغية أبو الوعاة ١ /٥٦٧.

(٣) مفتاح السعادة ١/ ٢٠٨-٢٠٩

«فإن صناعة الإعراب لا يخفى شأنها فى رفعة مكانها، تجرى من علوم الأدب مجرى الأساس، وتتنزل منها منزلة البرهان من القياس، وبها يتم ارتشاف الضَّرَب من تراكيب العرب بل هى مرقاة منصوبة إلى علم البيان، المطلع على نكت نظم القرآن.

وإن شرح الكافية للعالم الكامل نجم الأئمة، وفاضل الأمة، محمد بن الحسن الرضى الإستراباذى كتاب جليل الخطر ، محمود الأثر، يحتوى من أصول هذا الفن على أمهّاتها ومن فروعها على نكاتها، قد جمع بين الدلائل والمبانى وتقريرها، وبين تكثير المسائل والمعانى وتحريرها، وبالغ فى توضيح المناسبات، وتوجيه المباحثات، حتى فاق بيانه على أقرانه، وجاء كتابه هذا كعقد نظم فيه جواهر الحكم بزواهر الكلم..

إلى أن يقول: وقد قرأه علىّ من أوله إلى آخره المولى الإمام، والفاضل الهمام، زبدة أقرانه فى زمانه، وأسوة الأفاضل فى أوانه : محمد حاجى ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر بن محمد ـ قراءة بحث وإتقان، وقد نقّر فيها عن معضلاته، وكشف عن وجوه مخدراته.

هذا وقد أجزته أن يرويه عنى مع سائر ما سمعه على من الأحاديث وفنون الأدب[١].

مذهب الإمام الرضى فى ضوء شرح الكافية

المصادر التى تناولت شخصية الإمام الرضى التى عرضناها سابقًا لم تبين لنا فى زحمة المذاهب، وتعدد العقائد فى هذه الفترة التى كانت تسود العالم الإسلامى، فلا نعلم أهو سنّى أم شيعى؟

والناظر لكتب التراجم والطبقات يرى أن مؤلفى هذه الكتب يحرصون دائمًا وفى غالب الأحيان أن يكشفوا عن مذهب الشخصية المترجم لها من حيث العقيدة أو المذهب.

---

(١) الخزانة ١/ ٢٩- ٣٠.

وباجتهادى الخاص فى ضوء شرحه للكافية تأكد لى أنه شيعى، يلتزم مذهب الشيعة، وفى غالب الأحيان يستدل بأقوال الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ مع أن كتب النحاة السابقة لعصره لم تتضح فيها هذه الظاهرة، فالناظر إلى كتاب همع الهوامع للسيوطى الذى قمت بتحقيقه فى سبعة أجزاء يرى أن أقوال على ـ كرم الله وجهه ـ اختفت من هذه الموسوعة النحوية الضخمة التى استوعبت أقوال الرجال، وأحصت أسماءهم فلم تذكر اسم علىّ إلا مرة واحدة فى الجزء الخامس من الهمع ص٦١.

أما فى شرح الرضى على الكافية، فإنّ اسم على كرّم الله وجهه يطالعك فى كثير من صفحاته مما جعلنى أصنع فهرسًا خاصًا لأقوال أمير المؤمنين على ـ كرم الله وجهه ـ :انظر الفهرس السابع وهو مخصص للأقوال المنسوبة إلى على ـ كرّم الله وجهه ـ .

والأدلة على تشيعه تتضح من بعض الأمثلة الآتية حيث يقدّمها فى ثوب شيعى، من ذلك :

١ - قوله: اسم الفاعل من العدد إذا كان بمعنى واحديضاف إلى العدد المشتق هو منه، وإلى ما فوقه أيضًا ، كما تقول: الحسين رضى الله عنه ثالث الاثنى عشر»(١).

٢ - «وقد يكنى عن العلم بـ «هن» كما فى قول ابن هرمة يخاطب حسن بن زيد :

الله أعطاك فضلاً من عطيته على هن وهن فيما مضى وهن

يعنى عبد الله وحسنًا وإبراهيم وبنى حسن بن حسن، وكانوا وعدوه شيئًا فأخلفوه، هذا والظاهر أنه كنى عن الجنس أى: على لئيم ولئيم ولئيم ، حُوشوا عن ذلك.

٣- ولا أدل على تشيعه من اعترافه بوضوح بهذا التشيع، ففى مقدمة شرحه بعد أن بين أنه ركب مركبًا صعبًا فى شرحه لهذه المقدمة، فهى لج يحتاج إلى

(١) ٤/ ٧٠.

غائص ماهر، وفج يتطلب سالكًا يتمتع بالفطنة الوقادة والبصيرة النافذة يذكر أنه «إن جاء مرضيًا فببركات الجنات المقدس الغروى» (١) ومعنى ذلك كما فى مقدمة خزانة الأدب أنه « أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغرويّة فى ربيع الآخر سنة ٦٨٨هـ والمراد بها مشهد الإمام على فى النجف»(٢).

قصتى مع شرح الرضى:

فى دراستى العليا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة اعتمدت فى رسالتى الماجستير والدكتوراه على شرح الرضى الذى طبع فى أوائل ذى الحجة لسنة عشر وثلاثمائة وألف إلى جانب المصادر والمراجع الأخرى، فكنت أعانى من نقل النصوص التى أحتاج إليها عناء كبيرًا لكثرة التحريفات، وتداخل الكلمات، وسوء الطباعة وتآكل الحروف، واختلاط النقاط ، والخلو من علامات الترقيم، وغموض العبارات، ولما كنت أعمل فى جامعة الكويت أستاذًا للنحو العربى وقعت فى يدى نسخة من تصحيح أستاذنا المرحوم الشيخ يوسف عمر الذى تتلمذت عليه فى معهد القاهرة الثانوى، والله أشهد أننى كنت من المعجبين به فى بسط المسائل النحوية والصرفية، وتذليل صعوباتها حتى إنها كانت تدخل العقل بسهولة ويسر.

أقول: وقعت فى يدى هذه النسخة التى طبعت فى ليبيا حيث تولت طباعتها جامعة قار يونس.

وكنت أظن أن هذه النسخة الليبية حققت فى ضوء مخطوطات شرح الرضى ولكن الحقيقة أعلنها أستاذنا مصحِّح هذا الكتاب حيث ذكر فى غلاف الكتاب عبارة: تصحيح وتعليق، فالرجل لم يدّع أنه حقق هذا الكتاب، لأنه اكتفى بعبارة التصحيح والتعليق، هذه ناحية.

---

(١) مقدمة الرضى.

(٢) مقدمة الخزانة.

وناحية أخرى أعلنها أستاذنا فى شجاعة أدبية تدل على خلق علمى رفيع فى هذا الزمان الذى كثر فيه الادّعاء، وذلك حيث يقول فى مقدمة كتابه لشرح الرضى ما نصه:

«أما إخراج هذا الكتاب إخراجًا علميًا محققًا يجمع شتات نسخه المخطوطة المتعددة، ويحقق ما امتلأ به من نصوص منقولة عن السابقين من العلماء التى أكثر منها الرضى معزوّة إلى أصحابها فذلك أمل أرجو أن يتحقق على يد من يوفقه الله تعالى، ويكون قادرًا على النهوض به»[1]. وبذلك قطعت جهيزة قول كل خطيب.

وراودتنى نفسى أن أكون الأمل المرجوّ لأستاذنا رحمه الله فى تحقيق هذا الكتاب، وصمم عزمى على أن أقوم بجولة فى المكتبات العلمية التى تضم مخطوطات هذا الكتاب.

قمت برحلة إلى إنجلترا فصوّرت نسخة من المتحف البريطانى بلندن ونسخة أخرى من جامعة لندن، وثالثة من جامعة كامبردج.

وقمت كذلك برحلة إلى دمشق، فصوّرت نسخة من المكتبة الظاهرية وحصلت من مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة على نسخة من هذا الشرح.

وبدأ عملى فى تحقيق هذا الكتاب مساء يوم الإثنين ١٤ من محرّم سنة ١٤٠٨هـ الموافق ٧ من سبتمبر ١٩٨٧م.

وها نحن نلقى الضوء على هذه النسخ ليكون الدارس أو الباحث على بينة من أمرها.

أولاً: النسخ المخطوطة:

١ - نسخة مكتبة عارف حكمت ـ بالمدينة المنورة.

- اسم الناسخ: عبد الوهاب النوسى.

(١) انظر مقدمة شرح الرضى للشيخ يوسف عمر.

- تاريخ النسخ: ١٠٢٠هـ.

- نوع الخط: نسخ.

- عدد الأوراق :٣٢٧ ورقة.

- عدد الأسطر: ٣٠

- الحجم ٣٠×١٧

- الرقم العام: ٢٦٠٥.

- رقم التصنيف ١٢٢/ ٤١٥.

٢- نسخة جامعة لندن:

- القسم الأول: رقم التصنيف ٨٢٣٢.

- اسم الناسخ : سعيد عبد الهادى الفضلى.

- تاريخ النسخ: ضحوة نهار السبت لعشرين خلت من ذى القعدة الحرام عام ١٠٦٦هـ.

٣- نسخة مكتبة الظاهرية بدمشق.

- الرقم: ٦٥٩٦.

- تاريخ النسخ: فرغ من تحريره فى يوم الجمعة المباركة - فى خامس عشر من شهر جمادى الآخرة عام ١٠٧٧ والناسخ مجهول.

٤- نسخة جامعة كامبردج - إنجلترا.

- الرقم العام : ١٣٥٦.

- رقم المخطوط: ١٣.

- تاريخ النسخ: ضحوة يوم الثلاثاء سابع عشر من شهر شعبان عام ١٠٩٨ هـ

- ووافق ختم هذا الكتاب المبارك قراءة يوم الخميس ٢٣ من شهر رمضان سنة ١٠٨٣هـ.

٥- القسم الأول من نسخة المتحف البريطانى بلندن.

- الرقم ٣٩٣٣

ولم أهتد إلى الحصول على القسم الثانى منه، لأعرف تاريخ نسخه وعلى يد مَنْ تم نسخه؟.

ثانيًا: رموز المخطوطات فى تحقيقى:

- نسخة مكتبة عارف حكمت - رمزها - ع

- نسخة مكتبة جامعة لندن رمزها -ل

- نسخة مكتبة الظاهرية رمزها - ظ.

- نسخة مكتبة جامعة كامبردج ورمزها - ك.

- نسخة مكتبة المتحف البريطانى ورمزها - م.

ثالثًا: النسخة المطبوعة ورمزها : ط.

إلى جانب هذه المخطوطات قابلت النسخة المطبوعة على هذه المخطوطات وكنت إلى جانب المخطوطات أقابل فى ضوئها الكلمات، وأقارن الجمل والأساليب.

وتمتاز هذه النسخة المطبوعة بالتعليقات التى صنعها السيد الشريف على شرح الرضى، وقد ظفرت هذه النسخة المطبوعة بهذه التعليقات التى وضعت على هامشها وهى تعليقات رائعة حلت كثيراً من المشكلات التى قابلتنى فى التحقيق وتمتاز أيضًا هذه النسخة بأنها قوبلت ـ كما جاء فى خاتمتها ـ من النسخة الأخيرة للشارح.

هذا وقد تم طبع هذه النسخة فى مطبعة «الشركة الصحافية العثمانية» وقد صادف ختام طبع هذه النسخة فى أوائل ذى الحجة الشريفة لسنة عشر وثلاثمائة وألف من هجرة من له العزة والشرف»[١].

(١)انظر خاتمة النسخة المطبوعة.

والناظر إلى هذه النسخة يرى أنها محشوة بالأخطاء مملوءة بالتحريفات والدليل على ذلك:

١- عدم ضبط الكلمات التى تحتاج إلى ضبط.

٢- اختلاط الصيغ بعضها ببعض فـ«فعال» مثلاً من غير ضبط تحتمل أن تكون فعال بكسر الفاء، أو فُعال بضم الفاء، أو فعال بتشديد العين مع ضم الفاء أو فتحها.

٣- الكلمات الساقطة من النصوص لا تعدّ لكثرتها مما يترتب عليه عدم فهم النص .

٤- اختلاط الشواهد الشعرية بالنصوص النثرية، وبخاصة فى أنصاف الأبيات أو أجزائها.

٥- تجرد النصوص من علامات الترقيم مما يترتب عليه اختلاط المعانى بعضها ببعض.

رابعًا: النسخة المطبوعة بليبيا بتصحيح وتعليق أستاذنا الشيخ يوسف عمر ورمزها : ب:

على الرغم من أن هذه النسخة طبعت طباعة حديثة، حيث روعى فيها سلامة الحروف، وعلامات الترقيم، وصفّت على ورق أبيض مصقول وعلى الرغم من الجهد المبذول فى إخراج هذه الطبعة وتصحيحها، والتعليق على الكثير من مسائلها.

أقول على الرغم من ذلك فقد كثرت الأخطاء فى هذه النسخة ـ كثرة هائلة ـ لا تتفق مع مكانة هذا الشرح وجلال قدره.

والسبب فى ذلك يرجع إلى أن أستاذنا لم يتمكن من الحصول على مخطوطات هذا الكتاب كما ذكر فى مقدمة كتابه وفى خاتمته، فمن الطبعىّ أن تكثر الأخطاء ويتعدد السقط، ويكثر التحريف، لأن الذاكرة وحدها أو الخبرة

النحوية ذاتـها لا تغنى شيئًا فى مضـمار التحقيق النحوى دون المخـطوطات التى تنير السبيل وتضىء الطريق .

وإليك البيان:

أولاً: أخطاء قرآنية:

الجزء الثانى: / ٨٨

﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾[النساء/ ٩٠].

فى هامش ب٢/ ٤٥ [النساء/ ١٩٠] تحريف.

- الجزء الثانى/ ١٩٧.

﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ [يسّ/ ٣٢].

وفى هامش ب٢/ ١٤١[يسّ/ ٢٢] تحريف.

- الجزء الثالث٣/ ٩١.

﴿إلهين اثنين﴾ [النحل/ ٥١].

فى هامش ب ٢/ ٢٥٩[الهين أثين [تحريف].

الجزء الثالث/ ٣٠٥.

﴿لننزعن من كل شيعة﴾ [مريم/ ٦٩].

فى هامش ب٣/ ٣٠٥ [لتنزعن] بتاء ونون ، تحريف.

- الجزء الخامس/ ٦٥.

﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ [الفرقان/ ٧].

فى هامش ب٤/ ٦٣ [لولا أنزل عليه ملك] تحريف.

- الجزء السادس/ ١٥:

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن﴾ [المائدة/ ٦٩].

فى هامش٤/ ٣٥٥[إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن] تحريف.

- الجزء السادس/ ٨٧.

﴿الذين إذا اكتالوا على الناس﴾ [المطففين/ ٢].

- فى هامش ب٤/ ١٢٩ [إذا كالوا] تحريف.

- الجزء السادس/ ٢٤٠.

﴿أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون﴾ [الصافات/ ٥٣].

- فى هامش ب/ ٤٦٤ [أئذا كنا ترابًا وعظامًا أئنا لمدينون] تحريف.

ثانيًا: أخطاء تتعلق بالقراءات:

- الجزء الثالث/ ٢٥٦:

-للذين يؤلون من نسائهم [البقرة/ ٢٢٦]

قرأ الأخفش: اللاّئى يؤلون: «بهمزة بعدها ياء ساكنة».

علق عليها المصحح بقوله: هكذا فى الأصل المطبوع وكأنها محرّفة عن الأعمش، انظر هامش ب٢/ ٢٠٠.

والصواب أن نسبة القراءة للأخفش سليمة، لأنه لم يرد فى كتب القراءات والتفسير من نسب هذه القراءة للأعمش.

والأخفش نسبت إليه قراءات متعددة، انظر فهرس معجم القراءات القرآنية تجد أن له ٣٠ قراءة.

الجزء السادس / ٢٦٠.

قل هو الله أحد نسب قراءة «أحدُ» بضم الدال إلى ابن عباس وهذا خطأ، فإن مصادر القراءات ومراجعها لا تنص على ذلك وإنما القراءة التى تنسب إلى ابن عباس: «أحدْ» بسكون الدال انظر قراءة رقم ١٢٠٣٦ فى معجم القراءات.

الجزء الرابع ص٢٩ هامش ١ من كتابى المحقق:

﴿يفصل بينكم﴾ [الممتحنة:٣].

وردت القراءة بالبناء للمفعول، إما بتشديد الصاد، وهى قراءة ابن عامر وغيرها بالتخفيف .

وفى هامش نسخة ب ٣/ ١٠٤ - ذكر أنها لا تصلح للتمثيل، فهى تحريف وحذفها من الأصل، وأتى مكانها بالآية / ٩٤ من سورة الأنعام وهى «لقد تقطع بينكم » ولم يتنبه إلى أنها قراءة قرآنية، سجلناها فى معجم القراءات قراءة رقم ٩١٦٠.

ثالثا: أخطاء تتعلق بالشواهد الشعرية:

- استشهد الإمام الرضى فى شرحه للكافية بشواهد شعرية، قد تكون أجزاء أبيات، وقد تكون أنصافها .

ولم يجرؤ النساخ أن يضيفوا إلى الأجزاء ما سقط منها أو إلى الأنصاف ما يكملها.

ولكن أستاذنا ـ رحمه الله ـ خالف هذه القاعدة وانحرف عن هذا المنهج، فمعظم الأجزاء والأنصاف تبرع بإضافتها إلى الأصل بدافع حسن النية، ليقرأ الدارس جزء البيت بما نقص منه بإضافة الصدور إلى الأعجاز والأعجاز إلى الصدور، وكان الأحرى به أن يلتزم بما صنع الرضى حتى لا يخرج عن الرسم الذى وضعه الشارح لتأليفه ، وهل كان يعجز الرضى أن يضيف إلى الأجزاء والأنصاف ما يكملها؟ ومالى أذهب بعيدًا فالبغدادى الذى ألف خزانته لشرح هذه الشواهد لم يحاول أن يخرج عن الحدود التى رسمها الرضى فى عرضه لأبيات الشواهد وأجزائها وأنصافها وهامش الكتاب المحقق أو المصحح يتسع لهذا التغيير دون أن يمس الأصل الذى وضعه المؤلف.

ولا أبالغ إذا قلت : إن ظاهرة التغيير فى الشواهد امتدت إلى معظم شرح الرضى الذى صححه أستاذنا رحمه الله، وأكتفى هنا فقط بنماذج محدودة لتكون دليلاً على ما أقول، ففى هوامش أجزاء الكتاب الذى حققته ترى ما يلى:

- هامش ٢/ ٤٨ أضاف العجز إلى الصدر.
- هامش ٢/ ٥٧ أضاف الصدر إلى العجز.
- هامش ٢/ ٨٢ أضاف العجز إلى الصدر.

- هامش ٢/ ١٧٨ أضاف الصدر إلى العجز.

- هامش ٢/ ١٨٥ أضاف العجز إلى الصدر، وهكذا.

٢- وإلى جانب هذا التغيير امتدت بعض التحريفات إلى بعض شواهده، من ذلك:

فى جـ ٢ / ١٠٤ - الشاهد رقم ٢٢٩ ، وفى ب ٢/ ٦٠: «الليل مرتقب» .

والصواب كما فى المصادر والمراجع: «والليل مقترب».

- جـ٢/ ١٠٤ - الشاهد رقم ٢٥٢- فى ب ٢/ ١٢٣: «والجَمَد» بفتح الجيم والميم.

والصواب: والجُمُد كما فى المصادر والمراجع بضم الجيم والميم.

- جـ٢/ ٢٦٣ الشاهد رقم ٨٠٨ - فى ب ٢/ ١٩٩، ضبطت كلمة : «متيح» بفتح الميم، والصواب الكسر كما فى المصادر ، تحريف.

- جـ٢/ ٣٢٩ - الشاهد رقم ٣٥٦ فى ب ٢/ ٢٦٤: «أبى مرادة» بالراء، والصواب «أبى مزادة» بالزاى.

-جـ ٣/ ١٢٣- الشاهد رقم ٤٢٣ فى ب ٢/ ٣٨٩ تحريفان:

الأول: ضبط كلمة «جلان» بضم الجيم، والصواب الكسر.

الثانى: ضبط كلمة «كلّهم» بكسر اللام ، والصواب الفتح.

-جـ ٣ / ١٢٦ - شاهد رقم ٤٢٦ - فى ب ٢/ ٢٩٠: شتنة المناسم (بالتاء).

الصواب: شثنة بالثاء.

- جـ ٣/ ١٦٨ - الشاهد رقم ٦٢٧ - فى ب ٣/ ٢٢٣ «واشدو» بالواو

والصواب: واشدد بالدال.

-جـ٤/ ١٣٢- شاهد رقم ٦٨٧- فى ب ٢/ ٤١ «بيتًا» بالباء والصواب «ميتًا» بالميم كما فى المصدر.

جـ٥/ ٦٧ - الشاهد رقم ٨١٧ : فى ب ٤/ ٦٦ ـ ضبطت كلمة «وألحق» بالفتح وهو تحريف. والصواب: «وألحقُ» بالضم.

جـ٥/ ٢٤٢ - الشاهد رقم ٩٤٦ : فى ب ٤/ ٢٢٦: «الشاب» والصواب: «الشارب» بالراء.

جـ٦/ ٢١- الشاهد رقم ٩٨٤: فى ب ٤/ ٢٧٩: «وألحقه حتاه بالقوم لاحق» صوابه : وألحقه بالقوم حتاه لاحق.

جـ٦/ ٣٤ الشاهد رقم ١٠٠٠ - فى ب ٤/ ٢٨٧ «لفقت» بفاء وقاف والصواب كما فى المصادر «لففت» بفاءين.

جـ٦/ ١٣٣- الشاهد رقم ١١١٥ - فى ب ٤/ ٣٧١[ذات حولين] صوابه : [ذات اونين] كما فى المصادر.

جـ٦ / ٢٠٥ الشاهد رقم ١١٧٨ - فى ب ٤/ ٤٣٤ [ولا هلَعت] بفتح اللام والصواب كسر اللام لأنه من باب فرح.

جـ٦/ ٢٠٧ - الشاهد رقم ١١٨٠ فى ب ٤/ ٤٣٥ : «سكيرها» بالسين والصواب: «شكيرها» بالشين.

جـ٦/ ٢٤١ - الشاهد رقم ١٢١٦ فى ب ٤/ ٤٦٥ [وآلت رجلى] والصواب: «وألت نفسى» كما فى المصادر والمراجع.

رابعًا : بعض النصوص والعبارات، والجمل والكلمات الساقطة من نسخة (ب):

من نسخة ب سقطت نصوص وعبارات وجمل وكلمات وقد تجاوز بعضها النصوص الساقطة ستة سطور.

ولا تسمح مساحة المقدمة بعرض ما سقط من هذه النسخة، ولكننى أكتفى فقط ببعض النماذج، والمتصفح لكتابى المحقق تطالعه كثرة ما سقط من هذه النسخة.

انظر ما يتعلق بـ(ب) فى هوامش الأجزاء والصفحات من نسختى المحققة.

الجزء الأول: ١/ ٣١١ هامش رقم ٢.

الجزء الأول: ١/ ٣١٢ هامش رقم ١

الجزء الأول ١/ ٣٢٦ هامش رقم ٢

الجزء الأول ١/ ٣٣٠ هامش رقم ٣

الجزء الأول ١/ ٣٧٨ هامش رقم ١

الجزء الأول ١/ ٣٩٠ هامش رقم ١

الجزء الأول ١/ ٣٩٨ هامش رقم١

الجزء الأول ١/ ٣٩٩ هامش رقم ١

الجزء الأول ١/ ٤٠٩ هامش رقم ١

الجزء الأول ١/ ٤٢١ هامش رقم ١

الجزء الأول ١/ ٤٤٧ هامش رقم ١

الجزء الأول ١/ ٤٦٣ هامش رقم ٢

الجزء الثانى:

٢/ ٣١ هامش رقم ١

٢/ ٣٦ هامش رقم ٤

٢/ ٥١ هامش رقم ٣

٢/ ٥٢ هامش رقم ٢

٢/ ٦٠ هامش رقم ٣

٢/ ٦٦ هامش رقم ١

٢/ ١١٠ هامش رقم ١

٢/ ١٢٧ هامش رقم ١

٢/ ١٨٠ هامش رقم ١

٢/ ١٨١ هامش رقم ١

وانظر هوامش:

٣/ ١٦٠

٣/ ١٧٧

٣/ ١٩٢

٣/ ٢٢٣

٣/ ٢٣٠

هوامش الجزء الرابع:

٤/ ٢١١

٤/ ٢٦٧

هوامش الجزء الخامس:

٥/ ٧٥

٥/ ١١٠

٥/ ١٤٦

٥/ ١٨٢

٥/ ١٨٦

٥/ ١٩٩

٥/ ٢٦٧

هوامش الجزء السادس:

٦/ ٧٥

٦/ ٧٩

٦/ ٩٧

٦/ ١٠٥

٦/ ١١٠

١٤٠/٦

١٤٦/٦

١٦٨/٦

١٧٨/٦

ونكتفى بهذا القدر الذى خصصته لتحريفات النسخة الليبية سواء كان فى القرآن الكريم أو فى الشعر أو فى النصوص والجمل الساقطة، لنأخذ بيد القارئ إلى شرح الرضى من حيث منهجه، ومن حيث أسلوبه، ومن حيث تعبيراته، لنكون على بينة من أمر هذا الشرح الذى افتتن به الدارسون قديمًا وحديثًا.

سمات بارزة من منهج الرضى فى شرح الكافية

١- من منهجه أن يأتى غالبًا بنصوص من الكافية قد تطول وقد تقصر، ثم يتناول هذه النصوص بالشرح والتحليل، قاعدة قاعدة، وأحيانًا جملة جملة، وربما يتناولها كلمة كلمة حتى يفرغ من تحليل ما نقل من الكافية لينتقل بعد ذلك إلى مواضع أخرى.

٢- كثيرًا ما يشير الرضى فى أثناء شرحه إلى ابن الحاجب بقوله:

وقال المصنف، ويعنى بذلك قوله فى شرحه لكافيته، فقد شرح ابن الحاجب كافيته كما بينا من قبل .

٣- من منهجه تذليل المسائل النحوية بتشبيهات محسوسة من الحياة كقوله: «وإن كان مركبا حذف الاسم الأخير لما أريد حذف شىء منه، وكان موضع اتصال كلمتين كالمفصل، والكلمتان كعظمين متصلين عنده فهو أقبل للفك من مفاصل المتصل بعضها ببعض ، لأنه قريب العهد بالالتئام»[1] ... إلخ

وفى موضع آخر يقول: «وأمّا الاسمية التى جزؤها الثانى فعلية . فلا تدخل عليها إلا على قبح نحو: هل زيد خرج؟ لأنها إذا لم تجد فعلاً تسلّت عنه، فإن

(١) ٤٠٦/١

كان أحد جزأى الجملة التى تدخلها فعلاً تذكرت الصحبة القديمة فلا ترضى إلا بأن تعانقه فيجب أن توليه إياه [١].

من منهجه: عدم الاعتراف بتواتر القراءات:

قال الرضى: وقد جاء فى السعة الفصل بالمفعول إن كان المضاف مصدراً والمضاف إليه فاعلاً له كقراءة ابن عامر «قتلُ أولادَهَم شركائهم» ثم علق على ذلك بقوله: فقراءة ابن عامر ليست بذاك، وفى صراحة تامة قال: «ولا نسلم تواتر القراءات السبع، وإن ذهب إليه بعض الأصوليين»[٢].

- وفى موضع آخر ينكر قراءة حمزة: «تساءلون به والأرحام» بجر الأرحام، فيقول: والظاهر أن حمزة جوز ذلك بناء على مذهب الكوفيين، لأنه كوفيّ، وأعلنها الرضى فى صراحة، ووضوح أنه ينكر هذه القراءة حيث يقول: «ولا نسلم تواتر القراءت السبع» [٣].

٤- من منهجه مناقشة النحويين، وتصويب سهام النقد لهم:

نقد الكوفيين فى قوله: إن «لكن» مركبة من «لا» و«إن» المكسورة وأصله: لا كإنّ.

قال الرضى: ولا يخفى أثر التكلف فيما قالوا، وهو نوع من علم الغيب[٤].

- نقد عبد القاهر فى قوله: إن أسماء الأفعال معدولة على ألفاظ الفعل شىء لا دليل لهم عليه ، فكيف خرج الفعل بالعدل من الفعل إلى الاسمية، وأما المبالغة فهى ثابتة فى جميع أسماء الأفعال على ما بينا قبل، لا من الوجه الذى ادعى عبد القاهر»[٥].

---

(١) ١/ ٤٥٨

(٢) ٢/ ٣٣٠

(٣) ٣/ ٦٧

(٤) ٦/ ١٣٥

(٥) ٤/ ٣٧

- نقد الزمخشرى وجماعة من النحاة حينما قالوا: إن «أمس» معرب عند بنى تميم مطلقًا أى فى جميع الأحوال .

وقد قال سيبويه: إن بعضهم يفتحون«أمس» بعد «مذ» فقيد هذا القول بقوله«بعضهم» وبقوله بعد «مذ» فكيف يطلق بأن كلهم يفتحون فى موضع الجر بعد أى جار كان؟[١].

- نقد ابن بابشاذ:

يقول الرضى فى الصفة المشبهة: ومسألة منها مختلف فيها وهى الصفة مجردة عن اللام مضافة إلى معمولها المضاف إلى ضمير الموصوف نحو حسن وجهه فسيبويه وجميع البصريين يجوزونها على قبح فى ضرورة الشعر فقط، والكوفيون يجوزونها بلا قبح فى السعة ثم قال:

«ومنعها ابن بابشاذ مستدلاً بنسج العنكبوت، وهو أنه إضافته الشىء إلى نفسه[٢] ... إلخ.

نقد السيرافى:

قال الرضى: فثبت أن كان المفيدة للماضى التى لا تعمل مجرّدة عن الدلالة على الحدث مطلقًا..

وقد ذكر السيرافى أن فاعلها مصدرها أى كان الكون ، وهو هوس إذا لا معنى لقولك : ثبت الثبوت»[٣].

- نقد الزجاج:

قال الرضى: فهمزة أفعل على هذا للجعل كهمزة : ما أحسن، والباء مزيدة فى المفعول وهو كثير كما يجىء فى حروف الجر.

وأجاز الزجاج أن تكون الهمزة للصيرورة، فتكون الباء للتعدية أى اجعله ذا حسن، والأول أولى لقلة همزة الصيرورة .

---

(١) ١٧٥/٤

(٢) ٤١٧/٤

(٣) ٢٠٣/٥

ثم إن الزجاج اعتذر لبقاء «أحسن» فى الأحوال على صورة واحدة بكون الخطاب لمصدر الفعل أى: يا حسن أحسن بزيد، وفيه تكلف وسماجة من حيث المعنى[١].

٥- من منهجه استخدام الأساليب الأدبية فى القضايا النحوية:

قال الرضى: الهمزة وهل تدخلان على الاسمية والفعلية، إلا أن الهمزة تدخل على كل اسمية سواء كان الخبر فيها اسمًا أو فعلاً بخلاف «هل» فإنها لا تدخل على اسمية خبرها فعل نحو : هل زيد قام إلا على شذوذ، وذلك لأن أصلها أن تكون بمعنى قد فقيل «أهل»..

ثم حذفت الهمزة لكثرة استعمالها استغناء بها عنها وإقامة لها مقامها...

فلما كان أصلها قد، وهي من لوازم الأفعال، ثم تطفلت على الهمزة، فإن رأت فعلاً فى حيزها تذكرت عهودًا بالحمى، وحنت إلى الإلف المألوف، وعانقته وإن لم تره فى حيزها تسلّت عنه ذاهلة»[٢].

٦- وقبل أن أنهى الخطوط العريضة لمنهج الرضى فى شرحه أحب أن أشير إلى أن الرضى لم يسلم من النقد، فقد وجه إليه عبد القادر البغدادى عدة نقود متعلقة بالشواهد الشعرية التى ساقها فى شرحه .

نقد البغدادى لبعض شواهد الرضى:

- من ذلك الشاهد الذى ذكره الرضى رقم ٥٦٢، واستشهد به فى أسماء الأصوات، ونسبه إلى جهم بن العباس وهو:

ترد بحيَّهْلِ وعاج وإنما من العاج والحيهل جن جنُونُها

يقول البغدادى معلقًا على هذا البيت: نسبه الشارح لجهم بن العباس ولم أره إلا فى شرحه ولا أعرف جهمًا من هو؟ والله أعلم[٣].

---

(١) ٥/ ٢٥١، ٢٥٢. (٢) ٦/ ٢١٩.

(٣) انظر الشاهد رقم ٤٧٤ فى الخزانة.

- ينسب إلى الأخطل شاهداً وهو الشاهد رقم ٨٧٧ بترقيمى، والموفى السبعمائة بترقيم الخزانة وهو:

وقال رائدهم أرسو نزاولها فكل حتف امرئ يجري بمقدار

قال البغدادى: وراجعت ديوانه مراراً فلم أظفر به[١].

- وفى الشاهد رقم ١١٣٥ ، وهو الشاهد ٨٨٨ فى الخزانة استطرد وذكر بيتين قبل الشاهد.

قال البغدادى : وكان ينبغى الاكتفاء بالبيت التالى لأنه موضع الشاهد وحذف ما قبله (٢).

- وفى الشاهد رقم ٨٧٨، وهو الشاهد رقم ٧٠١-٧٠٢ وفى الخزانة ذكر البغدادى أن الشاهد تضمن شاهدين لا شاهداً واحداً، فهو ملفق من بيتين، أحدهما لعبد الله بن الحر، وثانيهما للحطيئة[٢].

وفى الشاهد رقم ٩٠٠، وفى الخزانة رقم ٧١٨.

وهو قول الشاعر:

غادرته جزر السباع

يذكر البغدادى أنه لم يجد من استشهد به فى النحو غيره[٣].

- وفى الشاهد رقم ٢٢١، وفى الخزانة رقم ٢٠٤

يذكر البغدادى أن هذا الشاهد انفرد به شرح الرضى على الكافية[٤].

وأكتفى بما قدمت من نقد الخبير المحقق والعالم المدقق البغدادى صاحب الخزانة لبعض شواهد الرضى لأنتقل بعد ذلك إلى عرض خطتى فى تحقيق هذا

(١) ٦/ ١٥٢ ، والهامش.

(٢) ٥/ ١٣١-١٣٢ ، والهامش.

(٣) ٥/ ١٨٤ ، والهامش

(٤) ٢/ ٨٤ والهامش.

الشرح.

خطتى فى التحقيق:

١- وضع رموز للمخطوطات التى حققت فى ضوئها هذا الشرح وهى:

أ- رمز (ع) لنسخة مكتبة عارف حكمت.

ب- رمز (ل) لنسخة جامعة لندن.

جـ - رمز (ظ) لنسخة الظاهرية.

د- رمز (ك) لنسخة كامبردج.

هـ - رمز (م) لنسخة المتحف البريطانى.

و- رمز (ط) للنسخة المطبوعة.

ز- رمز (ب) للنسخة الليبية.

٢- مقابلة الأصل المطبوع بالنسخ المخطوطة.

٣- إذا كان هناك تعارض بين النسخ لا يفسد المعنى أثبتُّ من هذه النسخ ما أطمئن إليه، وجعلته فى الأصل مشيرًا إلى ذلك فى الهامش.

٤- تصويب الكلمات المحرفة فى الأصل المطبوع فى ضوء النسخ المخطوطة.

٥- قد تتفق النسخ فى التحريف، وفى هذه الحالة أحاول الرجوع ما أمكن لتصويب التحريف فى ضوء الأصول أو المصادر التى نقل عنها الرّضى.

٦- ضبط الشواهد الشعرية، وتكملة أنصافها ووضع جزئياتها فى أبياتها كاملة، وذلك فى هامش التحقيق.

٧- الإشارة فى الهامش إلى المراجع والدواوين التى احتوت هذه الشواهد.

٨- أعمل جاهداً على نسبة الشواهد إلى قائليها.

٩- ضبط الأوزان والصيغ ضبطًا كاملاً يضع كل صيغة فى مكانها الصحيح.

١٠- شرح ما غمض من الألفاظ، وصعب من التراكيب.

١١- تخريج الآيات القرآنية، وذلك بذكر أرقامها، والإشارة إلى سورها فى الهامش.

١٢- الاكتفاء بتراجم الأعلام غير المشهورة، فى ضوء كتاب بغية الوعاة للسيوطى.

١٣- العناية بعلامات الترقيم، وتوزيع الفقَر فى البدء والانتهاء.

١٤- شرح ما غمض من ألفاظ الشواهد فى ضوء شرح البغدادى فى خزانته بغض النظر عن الدراسات المطوّلة التى تعمق فيها البغدادى حتى لا يطول الكتاب، وكل ما اقتبسناه منه ملخصات توضح المشكل، وتزيل الغامض.

١٥- ترقيم الشواهد، فهى وإن تكررت تأخذ رقمًا جديدًا تيسيرًا على الباحث، وتكرارها ليس عبثًا إنما جاء ليؤيد قاعدة جديدة غير القواعد السالفة، فمعظم الشواهد المكررة، موزعة على أبواب مختلفة وإلى جانب ترقيمى، التزمت بالاحتفاظ بترقيم الخزانة، مشيرًا إلى ذلك فى الهامش، وقد بلغ عدد شواهد الخزانة ٩٥٧ شاهدًا، «قد يكرر ـ كما يقول أستاذنا عبد السلام هارون فى مقدمته للخزانة - الشاهد الواحد فيها فى مواضع مختلفة من الشرح ، فإذا تكرر الشاهد نبه البغدادى على ذلك ولم يدخله فى نطاق العدد»[١].

أما عدد الأبيات فى تحقيقى فقد بلغت ١٢٤٣ شاهدًا.

١٦- فهرسة جميع الأبيات ووضعها فى ذيل كل جزء بحيث تحمل ترقيمى وترقيم الخزانة ليسهل على القارئ استخراجها.

١٧- ترقيم صفحات النسخة الأصل المطبوعة فى هامش التحقيق .

١٨- وضع عناوين لضبط الكتاب وقواعده.

١٩- أشرت برمز (ص) لنصوص كافية ابن الحاجب وبرمز (ش) لشرح الرضى.

٢٠ - وضع فهارس متعددة فى جزء خاص تشمل الشواهد القرآنية والشعرية

(١) انظر مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون للخزانة/ ٢٠-٢١ .

والنثرية من حديث وأمثال وأقوال، وحكايات وصيغ وألفاظ فضلاً عن فهارس الأعلام، والأماكن والبلدان والمذاهب والطوائف.

وبعد فإن الحديث عن النفس مرذول وبخاصة في مجال العلم، فمهما بذل في سبيله فهو قليل لما يجب أن يكون.

وكل ما أرجوه من الله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجهه، بعيدًا عن الرياء والسمعة، وأن يوفقني دائمًا إلى خدمة لغة القرآن، لأكون جنديًا من جنودها، ومجاهدًا في سبيلها، ومضحيًا من أجلها، لا أنفك عنها ما دام فيَّ نفس يتردد أو عرق ينبض، إنه سميع الدعاء، مجيب الرجاء.

ولا أنسى في ختام هذا التمهيد أن أشكر الشاب المجاهد أشرف يوسف الذي سار في درب أبيه رحمه الله في حبه للتراث والعمل على نشره ـ على جهده الرائع في إخراج هذا الكتاب إخراجًا علميًا من ناحية، وعلى ترحيبه بنشره في عالم الكتب دون تردد من ناحية أخرى.

ولا أنسى أيضًا تقديم شكري للأستاذ محمد نوار مدير عام دار جهاد والآنسة زينب طيبي المدير المسئول والمشرفة على الكمبيوتر، والعاملين بالمكتب على حسن التعاون لإخراج الكتاب سليمًا من التحريف، بريئًا من الأخطاء.. والله الموفق.

عبد العال سالم مكرم

زهراء حلوان في ٦ من المحرم ١٤٢١ هـ.

الموافق ١١ من أبريل ٢٠٠٠ م.

دار الكتب والوثائق
مكتبة فيض الإسلام بمدرسة حكمت

رقم التصنيف: ١٤٢ / ٤١٥

العنوان: شرح الكافية لابن الحاجب

المؤلف: نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (... - نحو ٦٨٦ هـ)

أوله: الحمد لله الذي وجلت الآوه على ان تحاط بعد ...

آخره: وان كان متحركا فمدة الإنكار وفق تلك الحركة ...

اسم الناسخ: عبد الوهاب النوسي تاريخ النسخ: ١٠٣٠ هـ نوع الخط: نسخ

عدد الأوراق: ٣٢٧ عدد الأسطر: ٣١ القياس: ٣٠ × ١٧ سم

ملاحظات: نسخة مذهبة عليها بعض التصحيحات متكولة نادرا

الرقم العام: ٢٦٠٥

الورقة الأولى من نسخة عارف حكمت

الورقة الأخيرة من نسخة عارف حكمت

الورقة الأولى من نسخة الظاهرية

الورقة الأخيرة من نسخة الظاهرية

الورقة الأولى من نسخة كامبردج

الورقة الأخيرة من نسخة كامبردج

الورقة الأخيرة من نسخة كامبردج

القسم الأول المتحف البريطاني رقم: ٣٩٣٣

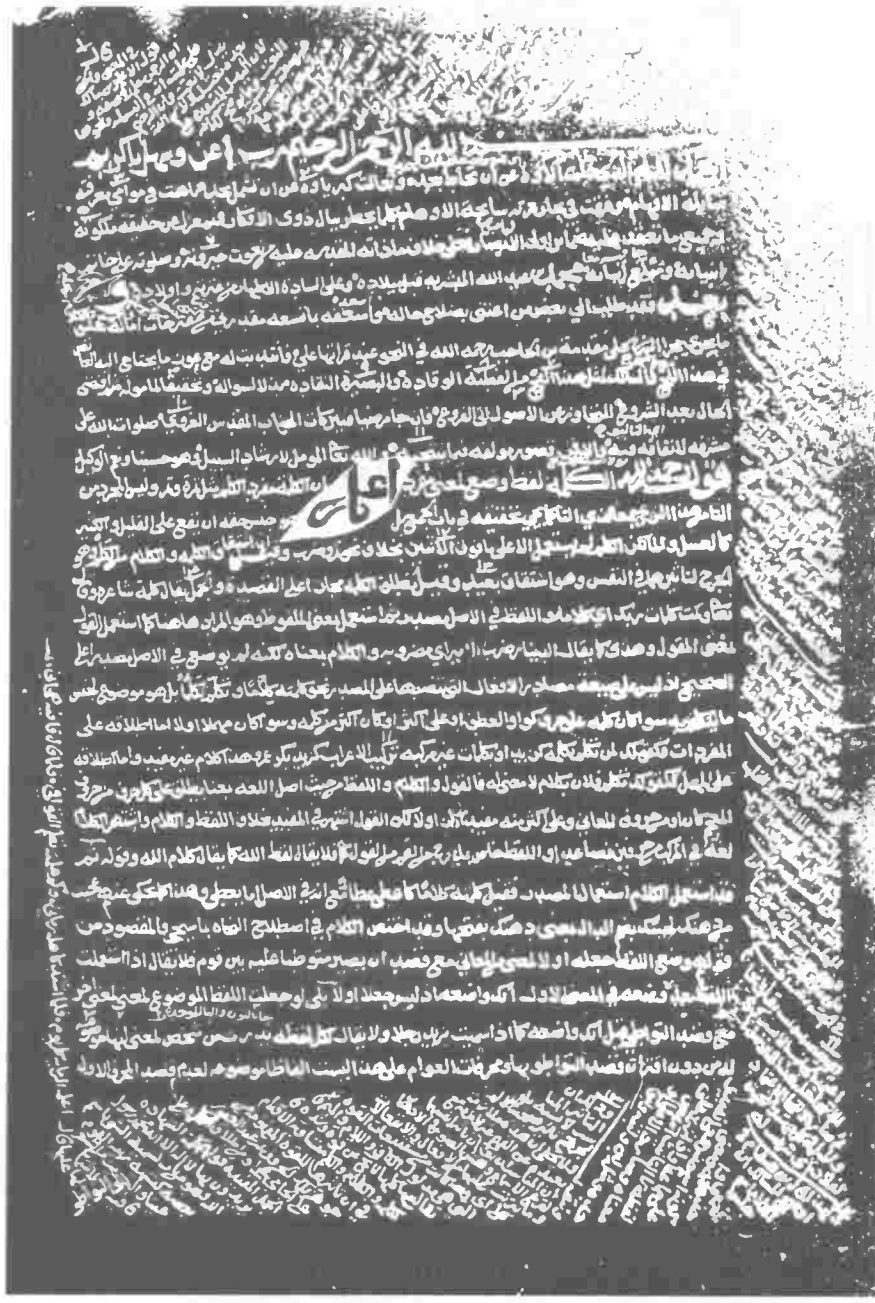

الورقة الأولى من نسخة المتحف البريطانى القسم الأول

الوقف لقصد الحكاية ومع زيادة الانكار بتوسط التنوين ويبقى الهاء موقوفا عليه فلا يستنكر بقاء التنوين فى الوقف ومدة الانكار تقع فى منتهى الكلام بعد الصفة والمعطوف وغير ذلك نحو أزيدا وعمرية فمن قال لقيت زيدا وعمرا وأزيدا الطويل، واذا قال ضربت عمرا قلت اضربت عمراه فتدخل همزة الانكار على الجملة والمفرد وعلى ى قسم ثلثت من اقسام الكلام بخلاف الف الندبة كما مر فى المنادى ولا بد فى حال الوقف من هاء السكت ههنا (واما حرف التذكير فليس فى كلام فصيح وانما يكون ذلك اذا نطق من يتذكر بكلمة ولا يريد ان يقف ويقطع كلامه فيصل آخر تلك الكلمة بمدة تجانس حركتها ان كان متحركا كما تقول فى قال ويقول من العام قالا فتمد فحة اللام الى ان يتذكر ما نسى ويصله به ويقول ومن العامى (ويصله بما ساكنة ان كان الاخر ساكنا صحيحا تونا كان او غيره نحو هذا سيفنى اذا اردت سيف من صفته كيت وكيت وتقول فى قد فعل وفى الالف واللام ٧ فى نحو الحارث مثلا قدى والى وان كان آخره ساكنا حرف مد نحو القاضى والعصا ويفر ومددت ذلك الحرف الى ان تتذكر ولا تجتلب مدة اخرى ويجوز ان يقال انك تجتلبها وتحذف الاولى كما قيل فى مدة الانكار ولا تلى هذه الزيادة هاء السكت بخلاف زيادة الانكار لان هذه انما تزاد اذا لم تقصد الوقف ❊ تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ❊ والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

٧ اذا تذكرت لفظه

❊ باصلبوب اتمام اوتجمه بوكتاب دلبذير ❊
❊ سويلدم تعريض كونه جوهرين تاريخا كا ❊
١٢٧٥ ❊ هروجهله اولسه شايان طبع وتشيل اولور ❊
١٢٧٥ ❊ كافيه شرحى رضى الدين عالمده بحسا ❊

لما كان شرح الكافية لنجم الدين الرضى الاسترابادى ❊ متامتين المسائل ❊ ووثيق الدلائل ❊ ومأخذ الكل الشروح والحواشى ❊ ومكشفا لمعانى اسرار التأويل التى لها الحواشى ❊ وكان مختلف النسخ فى تراكيبه زيادة ونقصانا وتقديما وتأخيرا ❊ تصححه وتبيضه مرارا ❊ مع تبديل بعض عباراته الوجيزة ❊ ونشر من تلك النسخ الكتب الكثيرة ❊ طبع باختيار النسخة التى قوبلت من النسخة الاخيرة للشارح ومثل فى اطرافها اكثر عبارات النسختين الاولين مع تعليقات العلامة المحقق السيد الشريف التى موضحة لبعض الفوائد ❊ ومبينة لمعانى الشواهد ❊ وتحريرات متعلقة بالشرح ومافيه من الابيات ليزداد شرفا بين الانام والاشراف ❊ وينتشر فوائدها فى كل النواحى والاكناف ❊ فى ظل السلطان الاعظم ❊ والخاقان الافخم ❊ السلطان ابن السلطان السلطان الغازى عبدالحميد خان ❊ ادام الله وجوده ❊ وافاض على الكافة بره وجوده ❊ فى المطبعة (الشركة الصحافية العثمانية) وقد صادف ختام طبعه فى اوائل ذى الحجة الشريفة لسنة عشر وثلثمائة والف من هجرة من له العز والشرف

الصفحة الأخيرة من النسخة المطبوعة

MUHAMMAD B.
HASAN
RADI AL-DIN
SHARH AL-KAFIYAH
ARABIC
MS.
SOAS
NO. 833

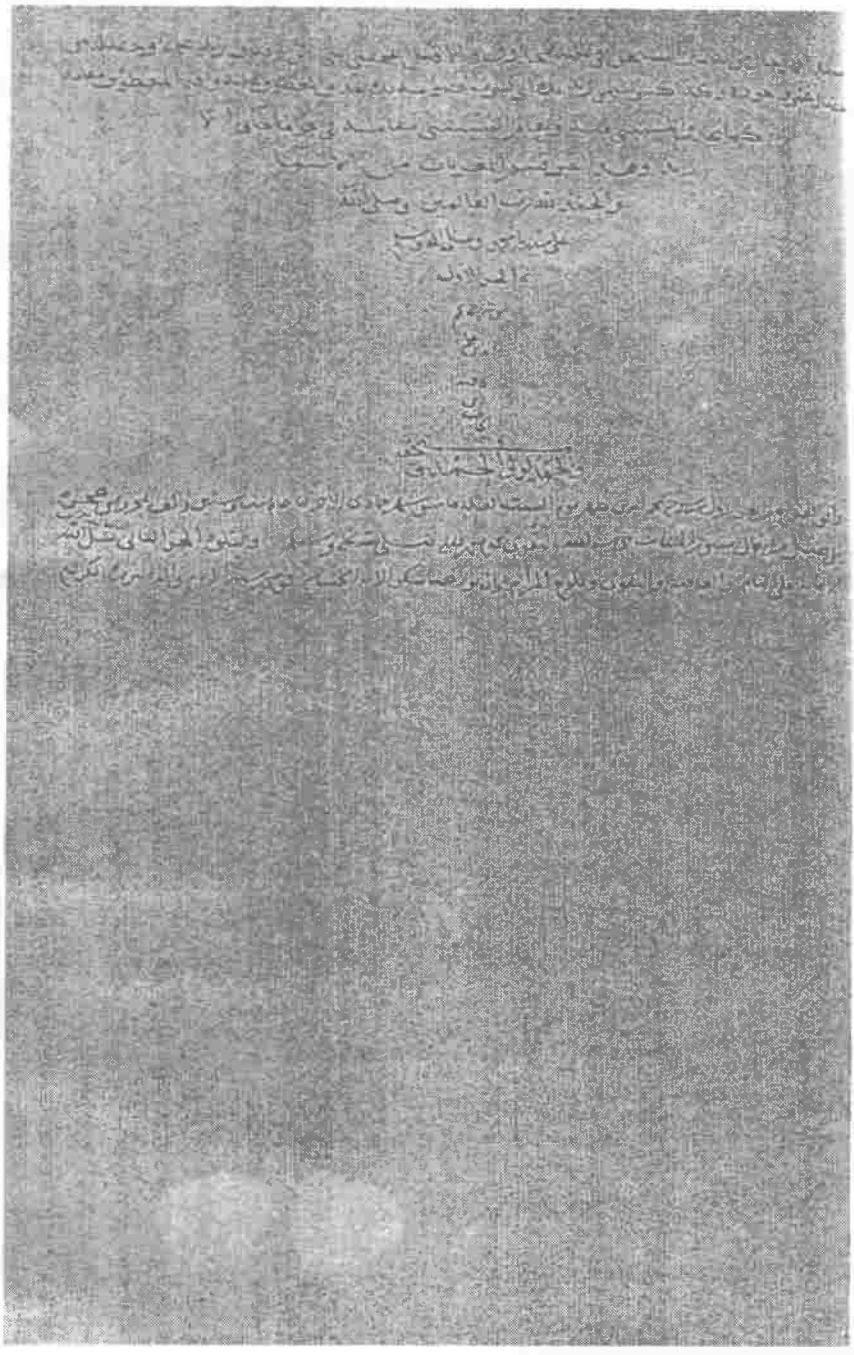

الورقة الأخيرة من القسم الأول جامعة لندن

الورقة الأخيرة من القسم الثاني جامعة لندن